IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الاكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Tasi' in Ibn Zaidoun's Verse

Dr. Israa Waguih khatab Bakar*
General Directorate of Education Salah Al-Din
E-mail: Iqiq91861@gmall.com

Keywords:

-speed
-Ibn Zeydoun
-Consistency

Article Info

Article history:
Received: 1- ٧-2021
Accepted: ٢1-٨-2021
Available online

Abstract

Tasri' in poetry is like assonance in prose. One of its main characteristics is that the reader knows beforehand the rhyme as soon as he reads the first part (*sadr*) of the line. *Tasri'* reveals the aesthetic harmony in a line of verse because the rhyme of the *sadr* is the same of that of the *'ajz* (the second part) of the line. When we read the line it produces musical tone that gives the poem, or the line, strong beauty that strengthens the tone when the rhyme is repeated. This fascinates the audience by its beauty which remains in their memory

* **Corresponding Author:** Dr. Israa Waguih khatab Bakar **, E-Mail:** Iqiq91861@gmall.com
Tel: +964773٧٦٩٣١٩ **, Affiliation** :General Directorate of Education Salah Addin-Iraq :

فن التصريع في شعر ابن زيدون
دراسة بلاغية

أ.م.د. اسراء وجيه خطاب بكر

مديرية تربية صلاح الدين / ثانوية تكريت للمتميزين

الكلمات الدالة:-

- التصريع
- ابن زيدون
- التناسق

معلومات البحث

تاريخ البحث:

الاستلام : ١-٧-٢٠٢١

القبول :٢١-٨-٢٠٢١

التوفر على النت

الخلاصة: التصريع في الشعر يكون بمنزلة السجع في الكلام المنثور ، وان من اهم خواصه ان القارئ يعلم قافية البيت بمجرد انتهاءه من قراءة صدر البيت ٠ وفيه تظهر صور التناسق الجمالي للبيت الشعري كون صدر البيت ينتهي بقافية مشابهة لقافية العجز، فعند قراءة البيت يتشكل نغما موسيقيا يعطي القصيدة بل البيت الشعري جمالا واضحا يفيد في تقوية النغم عند النطق به لتكرار قافية البيت والتي تشكل بدورها باعثا نفسيا يهيئه الشاعر بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها ،فتبقى تلك القافية بتكرارها في نهاية الصدر والعجز عالقة في ذهن المتلقي.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وعلى آلة وأصحابه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين وبعد :

فالتصريع: فن من الفنون البلاغية يدخل ضمن علم البديع، وفيه تظهر صور التناسق الجمالي للبيت الشعري كون صدر البيت ينتهي بقافية مشابهة لقافية العجز، فعند قراءة البيت يتشكل نغماً موسيقياً يعطي القصيدة، بل البيت الشعري جمالاً واضحاً يفيد في تقوية النغم عند النطق به لتكرار قافية البيت والتي تشكل بدورها باعثاً نفسيا يهيئه الشاعر بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها، فتبقى تلك القافية بتكرارها في نهاية الصدر والعجز عالقة في ذهن المتلقي ،إذ تشغله الأبيات المتناسقة القافية بنغم لا يسمح الذهن إلى سواها. جاءت لفظة التصريع من مصرع الباب أي أحد جزئيه، وهما مصراعان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، ومن بيت الشعر نصفه وهما مصراعان يسمى الأول الصدر والآخر العجز.

لقد وقع اختياري على أشعار ابن زيدون، وعند تصفحي لديوانه اتضح لي ان أغلب أشعاره احتوت على فن التصريع، وبما ان التصريع يكون على نوعين: تصريع بديعي، وتصريع عروضي، فالعروضية

هو اتفاق ضـــرب البيت وعروضـــه في الإعراب والتقفية والوزن، أمَّا البديعي: فهو اتفاق آخر جزء في الصدر مع آخر جزء في العجز وزنا وقافية[١] وقد وقع اختياري على التصريع البديعي دون العروضي

ان للتصريع فضلاً في تزيين القصائد، وجعلها أكثر جمالاً وروعة وتأثيراً في نفس المتلقي وان الغرض منه هو استحضار الهواجس الشعرية واستثارة العواطف والدخول إلى القصيدة بإيقاع متواتر مؤتلف يزيد من العذوبة أو السلاسة التعبيرية[2] قال أبو تمام في فضل التصريع :

ونقفوا إلى الجدوى بجدوى وانما يروقك بيت الشعر حين يُصَرَع[٣]

التمهيد :

نبذة عن حياة ابن زيدون :

هو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي القرطبي الأندلسي، ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ ، وكان والده فقيها أديبا .

لقب ابن زيدون بـ (ذي الوزارتين)، لأنه سمت به الهمة إلى أن يكون وزيرا لابن جهور ـــ أحد ملوك الطوائف ـــــ فاشتهر آنذاك وعلا قدره ، وألقيت إليه مقاليد الأمور ، فكان يسوسها بحذق وكياسة ثم غضب عليه مولاه ابن جهور بسبب وشاية ، فسجنه، ثم فـــر هارباً ولجأ إلى المعتضد بن عباد ـــ صاحب اشبيليا ـ فدخل في حاشيته، وصار وزيراً لابنه المعتمد ، وبقي هناك إلى أخر عمره.

اتصل في قرطبة بـــــ (ولادة بنت المستكفي) فعشقها فأذكت خياله ، وتصرفت بهواه ، فكان لها أثر عظيم في حياته وأدبه . توفي في اشبيلية سنة (٤٦٣)هـ[٤]

يعد ابن زيدون من أخصب شعراء الأندلس قريحة وأسماهم شعوراً يمتاز شعره برقة الغزل ، والشوق والاستعطاف ، ولأسلوبه روعة وسحر، ولعله أشبه الشعراء في ذلك بالبحتري، ولا عجب في ذلك فهو جليس الملوك وملك الجلساء، فإشاراته رائعة، وعباراته شائعة، وفيض علمه زاخر، لا تنقصه الدلاء ، وكان له نثر أنيق دقيق أشبه الجاحظ ، وله رسالتان يعرِّض فيها بابن عبدوس جِداً وهزلاً على لسان محبوبته ولادة .

كان ابن زيدون جلداً صبوراً، يستعطف من يحب حتى لتظنه طالباً لكنه وزير أدب ، وخلاصة ذهب، قَلّ نظيره بين الشعراء حتى لم يتطاول إليه إلا مغرور حاسد .

لابن زيدون ديوان شعر مطبوع وهو من الدواوين التي تُسعد قارئها، وتفتح أبواب المعرفة على مصراعيها فقد كان ذا باع طويل، ولغة سهلة سلسلة،لذا فقد جاء ديوانه من فرائد الأدب ولآليء الذهب .لقد ضمن ابن زيدون أشعاره الكثير من الأغراض البلاغية [٥]، وبعد اطلاعي على ديوان ابن زيدون تبين لي أنّ من أهم الأغراض البلاغية (في علم البديع) الذي تضمنتها أشعاره هو فن التصريع ، إذ احتوى ديوانه على أكثر من (٠ ٢٨) بيت في فن التصـــريع ذلك الفن الذي يكثر عند الشـــعراء المتمكنين من أشعارهم .

المـطلـب الأول : الـتـصـــريـــع

التصريع: لغة واصطلاحاً

عرّف التصريع أغلب أهل العلم من اللغويين، والبلاغيين، ولقد كان علماء العروض كالخليل ابن احمد الفراهيدي من السباقين إلى معرفة التصريع وقد كان يعده من محاسن الكلام.

قال الخليل : المصـراعان من الأبواب ، بابان منصـوبان ينضـمان جميعا مدخلهما في الوسـط من المصراعين ، ومن الشعر ما كان قافيتين في بيت، يقال صرعت الباب والشعر تصريعاً [٦].

قال الأزهري : والمصـــراعان من الشـــعر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد ... وبيت من الشـــعر مُصرع له مصراعان ... والتصريع في الشعر: تقفية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب، وهما مصرعان ، وإنما وقع التصريع في الشعر، ليدل على أن صاحبه مبتدئ، أما قصة، وأما قصيدة وصرع البيت من الشعر: جعل عروضه كضربه [٧].

اما ما عرفه البلاغيون عن التصـريع فلعل قدامة بن جعفر أول من أشـار إليه، إذ قال في نعت القوافي: ((أن تكون عذبة الحرف، سلسلة المخرج، وان يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخّون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه ، وربما صـــرعوا أبياتا أخر من القصـــيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره)) [٨]

وذكر أن كثيراً من الشعراء القدماء كانوا يستعملون ذلك ومنهم امرؤ القيس (لمحله من الشعر)[٩] فمنه قوله:

قفا نبكي بك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[١٠]

وقد سلك الكثير من الشعراء مسلك امرؤ القيس ومنهم: أوس بن حجر والمرقش وحسان والشماخ وعبيد بن الأبرص والراعي وغيرهم ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره .

ثم قال :((وإنما يذهب الشـــعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك ؛ لأن بنية الشـــعر إنما هو التسـجيع والتقفية فكلما كان الشـعر أكثر اشـتمالا عليه كان ادخل له في باب الشـعر وأخرج له عن مذهب النثر)) [١١].

فالتصـريع في الشـعر يكون بمنزلة السـجع في الكلام المنثور وان من أهم خواصـه أن القارئ يعلم قافية البيت بمجرد انتهائه من قراءة صدر البيت .

وأما ابن رشـيق ((فقال فأما التصـريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعه لضـربه، تنقص بنقصـه، وتزيد بزيادته))[١٢] ثم أوضـح بان من أهم فوائد التصـريع انه يعلم القارئ أنه قد أخذ من كلام موزون غير منثور فقال: ((وسـبب التصـريع مبادرة الشـاعر القافية؛ ليعلم في أول وهلة أنه اخذ في

كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر، وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع أخبارا بذلك وتنبيها عليه ، وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريع وهو دليل على قوة الطبع، وكثرة المادة إلا انه إذا كثرفي القصيدة دلّ على التكلف إلا من المتقدمين)) (١٣).

ويلح ابن رشيق على ضرورة الابتداء به فقال : ((وإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كا لمتسور الداخل من غير باب)) (١٤).

وذكر ابن سنان التصريع فقال ((وإما التصريع فيجري مجرى القافية ،وليس الفرق بينهما، إلا أنه في أخر النصف الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه)) (١٥).

وقال ابن الأثير ((ان التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور)) (١٦).

وقال القزويني : ومنه ما يسمى التصريع وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب)) (١٧).

وقسم ابن أبي الأصبع التصريع إلى قسمين: عروضي وبديعي، فالعروضي هو اتفاق ضرب البيت وعروضه في الإعراب والتقفية والوزن، أما البديعي: فهو اتفاق آخر جزء في الصدر مع آخر جزء في العجز إعرابا ووزنا وقافية (١٨).

ويذكر آخرون بان التصريع هو توافق في القافية بين الصدر والعجز في البيت بغض النظر عن اختلاف الوزن (١٩).

فالتصريع: هو استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز، وقد يكثر، ويقل بحسب اختيار الشاعر، وقد وجدت فن التصريع قد طرّز الكثير من أشعار ابن زيدون، واتضح لي بان التصريع في شعر ابن زيدون كثير ما يأتي في أوائل ووسط ونهاية القصيدة وهذا يدل على غزارة شعر الشاعر، وتمكّنه من الشعر، وسرعة بديهته واعتقد انه كان غير متكلف، وهو يصيغ الأشعار المصرعة ، بل اعتقد انها كانت تأتيه عفو الخاطر بدون أي تكلف إي انه يرسل الأشعار على سجيتها فهناك قصائد نجد التصريع في أولها وبعضها في أولها، ووسطها، وأحيانا في أولها، ووسطها وأخرها ومرة في وسطها فقط ،وأخرى في أولها، وأخرها إذا تنوعت الأبيات المصرعة بحسب قابلية وقدرة الشاعر فنجد قصيده كلها مصرعة.

المطلب الثاني :

الأمثلة :

التصريع في أول الأبيات :

للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا في النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها(٢٠) وقد اعتنى ابن زيدون باختيار التصريع البديعي، فجاء مناسبا لقوافيه، إذ كان الاهتمام به أحد مقاييس الذوق والجمال، فاتخذه وسيلة لتزيين شعره وقد نتج عن التصريع البديعي تجانس صوتي،

أعطى لمطالع القصـائد تناغما موسـيقيا ، فتكرار نفس الحرف في آخر كل شـطر بالبيت يوفر للقارئ متعة النظر قبل البدء بالقراءة ، ثم انه يبعث شـــيئا من الارتياح لتوقعه حرف الروي من خلال نهاية الشطر الأول .

قال ابن زيدون : (من الوافر)

أحِينَ عَلِمت حَظّك من وِدادي وَلَم تَجْهَل مَحَلّكَ من فُؤادي (الديوان: ٢٧)

نجد ان صـدر البيت انتهى بحرف الياء في كلمة (ودادي) ،وقافية البيت كانت ب(حرف الياء) في كلمة (فؤادي) اذ جعل الشاعر عروض البيت كضربه في قافية واحدة ، فنجد التصريع واضح في البيت إذ تشابهت نهاية الشطرين في القافية واتفقتا في الوزن .

وقال في قصيدة أخرى : (من الطويل)

أجِدُّ وَمَن أهوَاهُ في الحُب عابِثُ وَأوُفي لهُ بالعَهدِ إذْ هوَ نَاكِثُ (الديوان :٧٨)

إذ ابتدأ القصـيدة ببيت ختم الشـطر الأول بحرف (الثاء)وهي نفس قافية العجز ، وقد اتفقتا في الوزن ،وهذا هو فن التصريع .

ومثل ذلك قوله في التصريع في البيت الأول من القصيدة : من (بحر البسيط) .

بَيْني وَبَيْنَكَ ما لَو شئتَ لم يَضِعِ سرٌّ إذا ذاعتِ الأسرَارُ لم يَذِعِ (الديوان: ٧٣)

البيت فيه تصـريع واضـح حيث تشـابهت نهاية الشـطرين في القافية، إذ ختم الشـطر الأول بقافية (العين) وختم الشطر الثاني بقافية (العين) كذلك ،وقد اتفقتا في الوزن .

التصريع في البيت الأول والثاني من القصيدة:

وقد يصـرع الشـاعر في غير البيت الأول قال قدامة ((وربما صـرعوا أبياتا آخر من القصـيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره))[٢١].

قال ابن زيدون وهو يهنئ المعتضد بفصاد : (من الطويل)

ليهنك أن أحمدت عاقبة الفصد فلله منا أجمل الشكر والحمد

ويا عجبا من أن مبضع فاصد تلقيته لم ينصرف نابي الحدّ (الديوان :)١٤٥

وظف الشاعر التصريع في هذين البيتين إذ نجده يختم الشطر الأول والشطر الثاني من البيتين الأول والثاني بحرف(الدال) إذ اتفقت البيتان في الوزن والقافية .

ومثل ذلك قوله وهو يدعو أبا عامر إلى زيارته (من السريع)

طابَت لَنا لَيلَتُنا الخالِيَة فَلتُنسِناها هَذِهِ التالِيَةْ

أَبا المَعالي نَحنُ في راحَةٍ فَانقُل إِلَينا القَدَمَ العالِيَة(الديوان:٢٧٨)

نجد ان الشاعر تمكن من صياغة الشطرين الأول والثاني من البيتين الأول والثاني على قافية واحدة وهي (التاء) ووزن واحد، وهذا هو فن التصريع .

التصريع في البيت الأول والثاني والثالث من القصيدة :

كان ابن زيدون متمكنا من قول الشعر ومن صياغة أبياته وتزيينها بالأساليب البديعية ،وفي هذا الموضع نجده يوظف التصريع في أبيات آخر من القصيدة، فنجده يصرع البيت الثالث بعد البيتين الأول والثاني مما اعطى لمطلع قصيدته تناغما موسيقيا لأن تكرار نفس الحرف في آخر كل شطر بالبيت يوفر للقارئ متعة النظر قبل قيامه بالقراءة من ذلك قوله وهو يمدح محمد بن جهور ويشكر باديس صاحب غرناطة.

قال ابن زيدون : (من الطويل)

سل المعشر الأعداء إن رُمت صرفهم عن القصد إن أعياك منه مرام

أتوك كآساد الثَرى فرددتهم كما أجفلت وسط الفلاة نعام

مضوا يسألون الناس عمّا وراءهم فيُخبرُهُم بالمُبكيات عِصامُ (الديوان:٢٥٨)

نلاحظ ان قافية الصدر والعجز واحدة في الأبيات الثلاثة الأولى قافية(الميم)،واختلفت في الوزن فجاء نهاية صدر الأبيات على وزن مفاعل، بينما جاءت نهاية العجز على وزن مفاعي ، إذ صرع البيت بغض النظر عن اختلاف الوزن، وهذا دليل على قدرة الشاعر وخبرته وتمكنه من قول الشعر.

ومثل ذلك قوله في قصيدة أخرى وهو يبتدئ الأبيات الثلاثة الأولى صدها وعجزها بقافية (الدال والياء) ، قال: (من الرمل)

كم لرِيحِ الغَرب من عَرف نَدي كالشّرَاب العَذب في نَفسِ الصّديّ

حيث عَبّاد فتى المَجدِ الّذي نَصّتِ الدّنيا به نَصّ الهَدِيّ

مَلِك راحته بحر الندي مثلما غُرّتُهُ بَدر الندي (الديوان:٢٥٩)

نجد الأبيات الثلاثة الأولى جاءت بقافية واحدة ووزن واحد فاتضح هنا سر الجمال فيما احدثه التماثل الصوتي للوزن والقافية في هذه الأبيات من جرس موسيقي يطرب الآذان ويجذب الانتباه .

التصريع في أول القصيدة ووسطها :

ونجد الشاعر يصرع أول الأبيات ووسطها وذلك إذا خرج من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينذاك بالتصريع إخبارا بذلك وتنبيها عليه ، ومن ذلك قوله وهو يمدح المعتضد بالله بن عباد : (من الوافر)

أعَرفْكِ رَاحَ في عُرفِ الرّيَاح فهَزَّ من الهوى عِطفَ ارتياحِ (الديوان:٢٠٤)

وظف الشاعر التصريع في البيت الأول من قصيدته، إذ جعل قافية الشطرين الصدر والعجز (حرف الحاء) ثم انتقل إلى وسط القصيدة وجاء بقافية (الحاء) في صدر وعجز البيت أيضا، فقال :

وكم أسقَمتِ من قَلب صَحيح بِسقمِ جُفُونِك المرَضى الصِحاحِ

(الديوان :٢٠٥).

نجد فن التصريع قد ظهر واضحا جليا بسبب اتفاق نهاية الصدر والعجز قافية ووزنا .

وفي قصيدة أخرى نجد ابن زيدون يرصّع أبيات قصيدته بـــفن التصريع وهنا كانت قافية (الدال) إذ افتتح قصيدته بفن التصريع فقال وهو يمدح المعتضد بن عباد (من الكامل) :

للـحُبّ في تلك القِبابِ مَرَاد لو ساعَفَ الكَلِفَ المَشُوقَ مُرَاد (الديوان:٢٣٧)

افتتح قصـيدته ببيت كان متفقا وزنا وقافية، فصـاغ صـدر البيت وعجزه بقافية واحدة وهي حرف (الدال) .

ثم جاء بعده بـــ (٣١بيتا) بقافية أخرى مختلفة ثم جاء بعدها ببيت مصرع بحرف (الدال) أيضا يقول :

قدَ أُلّفَت أشتَاتُهُم فـي وَاحِدٍ إلّا يكُنهُم أُمّـةً فَيَكَادُ (الديوان:٢٤١)

حصل التصريع، لان قافية الصدر والعجز كانت بحرف (الدال) ، فجاء التصريع في أول القصيدة وفي وسطها، إذ جاءت الأبيات متفقة القافية ومختلفة في الوزن، فجاءت نهاية الصدر على وزن متفاعلن ونهاية العجز على وزن متفاعل ، وهذا يدل على تمكن الشاعر من تزيين قصيدته بفن التصريع.

ومثل ذلك نجد قصيدة أخرى للشاعر يزينها بفن التصريع إذ يختم الصدر، والعجز من البيت الأول بقافية (اللام) ثم يذكر أبياتا بعده قافية الصـدر غير قافية العجز وبعدها يأتي بأبيات مصـرعة أي قافية الصـــدر هي نفس قافية العجز وهي حرف (اللام)، من ذلك قوله في الغزل والحنين (من المتقارب):

لَئِن قَصّرَ اليَأس مِنك الأمَل وحال تجنيك دون الِحيل

وناجاك بالإفك في الحسود فأعطيته جهرة ما سال

وَرَاقَكِ سِحْرُ العِدَا المُفْتَرَى وَغَرّكِ زُورُهُمُ المُفْتَعَلْ

واقبلتهم في وجه القبول وقابلهم بِشْرُكِ المُقْتَبَلْ

فإن ذمام الهوى لم أزل أبقيه حفظا كما لم أزل (الديوان: ٣٧).

نلاحظ ان اتفاق قافية الشطر الأول من البيت الأول مع قافية القصيدة كان الغرض منه استحضار الهواجس الشعرية واستثارة العواطف والدخول الى القصيدة بإيقاع مؤتلف يزيد من العذوبة والسلاسة التعبيرية .

التصريع في وسط القصيدة فقط :

لقـــد تفنن ابن زيدون في صياغة قصائده وتضمينها فن التصريع فهنا نجده قد بدء قصيدته ونظمها على قافية (الميم) فكانت الأبيات الأولى غير مصـــرعة إذ إن نهاية الصـــدر غير نهاية العجز، إذ نظم ستة أبيات وبعدها جاء ببيتين فيها تصريع فقال في وصف الطبيعة من (الطويل):

على الثَّغَبِ الشّهدي مني تَحِيّة زَكَت وعلى وادي العَقيق سلامُ

ثم يذكر بعد البيت السادس بيتين فيها تصريع فيقول :

وَصُحبَةَ قَوم كا المصابيح كُلّهم إذا هُزّ للخطب المُلِم حُسام

إذا طاف بالرّاح المُدير عليهم أطاف به بِيضُ الوجوه كِرام (الديوان:٧٦)

نلاحظ التصريع حصل في هذين البيتين ،إذ جعل حرف(الميم) قافية للصدر في كلمة(كلهم) وقافية للعجز في كلمة (حسام) وقي البيت الآخر ايضا كان (الميم) قافية للصدر في كلمة(عليهم) وقافية للعجز في كلمة (كرام) إذ اتفقت البيتان في القافية واختلفت في الوزن فجاءت قافية الشـــطر الأول على وزن مفاعلن وقافية العجز على وزن مفاعي .

التصريع في أول ووسط ونهاية القصيدة :

جاء ابن زيدون بفكرة أخرى وهـــي انه طرّز قصيدته بفن التصريع حينما جعل قافية الصدر والعجز تتشابه في أول القصيدة، وفي وسطها، ونهايتها ، إذ اختار بيتين في أول الأبيات ،وبيتين في الوسط وبيتين في أخر القصيدة كلها تكون قافية (نا) في الشطرين الأول والثاني من ذلك قوله في قصيدة أرسلها إلى حبيبته ولادة بنت المستكفي يسألها فيها أن تدوم على عهده ، ويتحسر على أيامها الماضية فيقول(من البسيط) :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

ألا وقد حان صُبح البين صَبّحنا حين فقام بنا للحين ناعينا (الديوان:١١)

ثم ينتقل الى وسط القصيدة فيقول :

بِنتم وبِنا فما ابتلّت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تُناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا (الديوان: ١٢)

ثم يختم قصيدته بقوله :

لا أكؤس الراح تُبدي من شَمائِلِنا سيما ارتياح ولا الأوتارُ تُلهينا

فما استَعَّضنا خليلاً منكِ يَحبِسُنا ولا استَفدَنا حبيبًا عنكِ يَثنينا (الديوان :١٦)

هكذا زين ابن زيدون قصيدته بفن التصريع حينما ختم صدر هذه الأبيات وعجزها بقافية واحدة وهي (نا)، وقد اتفقت الأبيات وزنا وقافية٠فجعل القارئ يعرف قافية البيت بمجرد قراءة الشـــطر الأول من القصيدة .

التصريع في البيت الأول والأخير من القصيدة

وهذا نوع آخر من فن التصريع الذي زين ابن زيدون قصائده به، فنجده يصيغ قصائد أخرى بطريقة جديدة وهوانه يبتدئ إحدى قصائد ديوانه بفن التصريع، ثم يذكر عدة أبيات تخلو من التصريع، وبعدها يختم القصيدة ببيت فيه تصريع، من ذلك قوله (من البسيط) :

لو كان قولُكَ : مُت ما كان رَدّيَ لا يا جائر الحكم أفديه بمن عدلا

ثم يذكر ستة أبيات تخلو من التصريع ، وبعدها يختم قصيدته بفن التصريع فيقول :

إن كان لي أمل إلا رِضاكَ فلا بُلّغتُ يا أَمَلي من دَهرِي الأملا (الديوان:٧٤).

نلاحظ ان الشـــاعر ختم البيت الأول من قصـــيدته هذه بقافية (اللام) فكانت في الشـــطرين الأول والثاني من البيت الأول والأخير قافية (اللام) إذ اتفق الشطران في القافية والوزن، وهذا هو فـــن التصريع .

ومثل ذلك قوله في قصيدة أخرى مصرعة البيت الأول والأخير (من الوافر) :

عَذيرِي من خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ يَمِيلُ مَعَ الزّمَان كمَا يَمِيلُ (الديوان: ٨٣)

وظف الشاعر التصريع في البيت الأول من قصيدته إذ ختم الكلمة الأخيرة من الصدر والعجز بقافية (اللام)، بعدها يذكر خمســـة أبيات مختلفة القوافي ،ثم يختم الصـــدر والعجز في البيت الأخير من القصيدة نفسها بقافية (اللام) ايضا .

من ذلك قوله :

كتابي عَنْ وِدادِكَ لا يَزُولُ وَعَهدي مِثْلُ عَهدِكَ لا يَحولُ (الديوان : ٨٣)

نلاحظ ان الأبيات اتفقت قافية ووزنا ، ونتج عن هذا الاتفاق احداث جرس موســـيقي يطرب الآذان ويجذب الانتباه .

فن التصريع في كل أبيات القصيدة :

من أهم المؤشرات التي تدل على قدرة الشاعر وتمكنه من قول الشعر والتفنن في صياغة أبياته لا سيما فيما (يخص موضوعنا وهو فن التصريع) تظهر براعة ابن زيدون في تمكنه من صياغة قصائد مؤلفة من عدة أبيات يكون صـــدرها، وعجزها قافية واحدة ما يضـــفي عليها نكهة جديدة ،وموســـيقى جميلة ، من ذلك قوله قصيدة (مؤلفة من اثنين وعشرين بيتاً كلها مطرزة بفن التصريع) صاغها

بقافية واحدة، لكل شطر من القصيدة صدرا وعجزا، إذ اتفقت الأبيات قافية ووزناً ، من ذلك قوله وهو في مدينة بطليوس يتشوق فيها إلى وطنه

قال: (من الرجز)

يا دمع صُب ما شِئتَ أن تَصُوبا ويا فؤادي آن أن تذوبا
إذ الرزايا أصبحت ضُرُوبا لم أر في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا نُدوبا في الغرب إذ رُحتُ به غَريبا
عَليلَ دهرٍ سامني تعذيبا أدنى الضنى إذ أبعَدَ الطبيبا
ليت القبول أحدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالأفق المُهدي إلينا طيبا تعطرت منه الصَبا جُيُوبا (الديوان:١٧)–
يُبرِدُ حرّ الكبد المشبوبا يا مُتعبا إسآده التأويبا
مُشّرَقا قد سئم التغريبا أما سَمِعتَ المثل المضروبا
أرسل حكيما واستشر لبيبا إذا أتيت الوطن الحبيبا
والجانب المستوضح العجيبا والحاضر المُنفَسِح الرحيبا
فحيّ منه ما أرى الجنوبا مصانع تجتذِبُ القلوبا
حيث ألِفتُ الرّشأ الرّبيبا مُخالفاً في وصله الرقيبا
كم بات يدري لَيلَهُ الغربيبا لما انثنى في سُكرِهِ قَضِيبا
تشدو حَمامُ حَليهِ تَطرِيبا أرشُفُ منه المَبسِم الشّنيبا
حتى إذا ما اعتَنّ لي مُريبا شباب أُفقٍ هَم أن يَشِيبا (الديوان :١٨)

ويستمر على هذا المنوال إلى أخر بيت في هذه القصيدة اذ قال :

حسبي أن أُحَرّم المَغِيبا قد ينفع المُذنِب أن يتوبا (الديوان: ١٩)

وهكذا نجده في أغلب قصائده يبدع ويتقن اشعاره ويطرزها بفن التصريع ليزيد من التلون الإيقاعي الذي زود القصيدة بانغامه وموسيقاه ، وهذا برهان على تمكنه من صياغة شعره وبراعته في كل فنون الشعر، فكان يليق به أن يعمل وزيراً وكاتباً لدى الأمراء وأن يلقب بذي الوزارتين .

الخاتمة :

بعد هذه الجولة اللطيفة وأنا أتصفح ديوان شاعر الأندلس الكبير ابن زيدون ، لألتقط ما زين أبيات قصائده بـ (فن التصريع) ذلك الفن اللطيف الطريف والذي يجهله الكثير من العامة وحتى المتخصصين ، فأحببت أن أكتب عن هذا الفن، وفي ديوان ابن زيدون بالذات، لأنني بعد اطلاعي

على ديوان الشاعر وجدت الشاعر قـد أكثر من فـن التصريع بشكل لافت للنظر إذ قلما وجدت قصيدة في ديوانه تخلو من التصريع فكانت أغلب قصائده قــد بدأها بـــفـــن التصريع ، وهذا دليل على قدرة الشاعر ومهارته وتمكنه من البلاغة.

لقد ذكر المؤرخون أن الفحول المجيدين من الشعراء هم من استطاعوا أن يجعلوا مقطع المصراع الأول في البيت من القصيدة مثل قافيتها ، فهذا دليل على اقتدار الشاعر وسعة علمه وتمكنه من شعره .

لقـد قيل قديما ان الشاعر امرؤ القيس كان فحلا متمكنا من صياغة قصائده وتضمينه إياها بفن التصـريع، وهو شـاعر قبل الإسـلام ، وهذا الشـاعر الأندلسـي ابن زيدون يضـاهي من سبقه من الفحول المجيدين أرجو السداد والهداية ، وما توفيقي إلا بالله فهو حسبي ونعم الوكيل .

الـــهـــوامـــش :

١ـ ينظر: تحرير التحبير :٣٠٥ .
٢ـ ينظر: العمدة : ١ / ١٧٦ .
٣ـ ديوان أبي تمام : ١٣٢ .
٤ـ ينظر: ديوان ابن زيدون: ٥ .
٥ـ ينظر: تاريخ الأدب العربي(أحمد حسن الزيات) : ٣٣٠
٦ـ ينظر: كتاب العين: مادة صرع .
٧ـ ينظر: لسان العرب : مادة صرع .
٨ـ نقد الشعر : ٥١ .
٩ـ المصدر نفسه: ٥١
١٠ـ ديوان امرؤ القيس : ٨١ .
١١ـ نقد الشعر : ٥٨ .
١٢ـ العمدة : ١ / ١٧٣
١٣ـ المصدر نفسه: ١ / ١٧٤ .
١٤ـ المصدر نفسه: ١ / ١٧٤ .
١٥ـ سر الفصاحة: ٢٢١ .
١٦ـ ينظر: المثل السائر: ١ / ٢٤٢ .
١٧ـ ينظر: الإيضاح: ٣٩٧ .
١٨ـ ينظر : تحرير التحبير: ٣٠٥ .
١٩ـ ينظر : كتاب ملتقى أهل اللغة : ٣٣ .
٢٠ـ ينظر : منهاج البلغاء : ٢٨٣ .
٢١ـ نقد الشعر: ٥١ .

المصادر والمراجع

-الإيضاح في علوم البلاغة، قاضي القضاة جلال محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (٦٦٦ـ ٧٣٩هـ)تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ـ مطبعة السنة المحمدية. القاهرة ـ د.ت ،الجزء الثاني في علمي البيان والبديع.

- تاريخ الأدب العربي ، احمد حسن الزيات ،الطبعة : ٢٦ .

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (تـ٦٥٤ هـ) تحقيق: د.حفني محمد شرف ـــــ الكتاب الثاني الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- ديوان ابن زيدون، دراسة وتهذيب :عبد الله سنده ،دار المعرفة : بيروت ـــــــ لبنان، الطبعة الأولى :١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .

- ديوان أبي تمام ، تحقيق :محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر، الطبعة ٣ ، ١٩٧٠ م.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،مصر، الطبعة ٢، ١٩٦٤

-سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، تحقيق الإستاد عبد المتعال الصعيدي ـ مصر١٩٥٣.

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـــ) ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ـ مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٥

- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ،تحقيق : دمهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي دار الرشيد ـــ بغداد ١٩٨٠ م .-كتاب ملتقى أهل اللغة (مجموعة من المؤلفين) المكتبة الشاملة ،تم تحميله في يوليو٢٠١٤ م .

- لسان العرب المحيط ،العلامة ابن منظور(ت ٧١١هـــــ) قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ـ بيروت.

-المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين، نصرالله بن محمد بن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ)،تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، مطيعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٣٩م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،حازم بن محمد القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) تحقيق : الحبيب ابن الخوجة، دار النشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦.

- نقد الشعر أبو الفرج قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـــــ)، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة ٣ ،مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٧٨م .

References

-Abu Tammam. *Diwanu Abi Tammam*. Ed. Mohammad Abdu Azzam. Cairo Dar ul-Ma'arif, 1970.
-Al-Farahidi, Al-Khaleel Ibnu Ahmad. *Kitab ul-Ain*. Eds. Mahdi il-Makhzumi & Ibrahim us-Samarra'i. Baghdad: Dar ur-Rasheed, 1980.
-Al-Khafaji, Ibnu Sinan. *Sirr ul-Fasaha*. Ed. Abdul-Muta'ali is-Sa'iedi. Cairo: 1953.
-Al-Qairawani, Al-Hasan Ibnu Rasheeq. *Al-'Omdatu fi Mahasin ish-Shi'ri wa 'Aadabihi*. Ed. Mohammad Mohyi Abdul-Hameed. Cairo: Matba'at us-Sa'ada, 1955.
-Al-Qirtaji, Hazim bin Mohammad. *Minhaj ul-Bulagha' wa Siraj ul-'Odaba*. Ed. Al-Habeeb Ibnul Khouja. Beirut: Dar ul-Gharb il-Islami, 1986.
-Al-Quzwini, Jalal bin Mohammad bin Abdur-Rahman. *Al-Idhah fi 'Olum il-Balagha. Vol. II, fi 'Ilm il-Bayan wal Badi'*. Eds: A Group of al-Azhar Professors. Cairo: Matba'at us-Sunna Al-Mohammadiya, n.d.
-Az-Zayyat, Ahmad Hasan. Ta'rikh ul-Adab il-Arabi.
-Ibnu Abil Isbi', Al-Misri. *Tahreer ut-Tajbeer fi Sina'at ish-Shi'ri wan-Nathri wa Bayani I'ijaz il-Qur'an.* Ed. Dr. Hanafi Mohammad Sharaf. Cairo: Lajnat Ihya' it-Turathi il-Islami, n.d.
-Ibnu Ja'far, Abul Faraj Qudama. *Naqd ush-Shi'r*. ed. Kamal Mustafa. Cairo: Maktabat ul-Khanchi, 1978.
-Ibnul Atheer, Dhia'uddin Nasruullah bin Mohammad Al-Juzri. *Al-Mathal us-Sa'iri fi Adab il-Katibi wash-Sha'ir*. Ed. Muhyidin Abdul-Hameed. Cairo: Matba'at Mustafa Al-Babi al-Halabi, 1939.
-Ibnu Mandhur. *Lisan ul-Arab*. Introduction by Shaikh Abdullah Al-Alayil. Ed. Yousuf Khayyat. Beirut: Dar Lisan ul-Arabi, n.d.
-Ibnu Zaidun. *Diwanu Ibni Zaidun*. Ed. Abdullah Sindah..Beirut: Dar ul-Ma'rifa, 2005.
-Imro' ul-Qais. *Diwanu Imro' ul-Qais*. Ed. Mohammad Abul Fadhl Ibrahim. Cairo: Dar ul-Ma'arif, 1964.
-Majmo'atu Mo'allifeen.*Kitabu Multaqa Ahli il-Lugha*. Al-Maktabat ush-Shamila (pdf. Downloaded July 2014).